دار العلوم

# التربية الأخلاقية والتحديات المعاصرة

(الأربعاء والخميس ١٥ - ١٦ أبريل ٢٠١٥)

برعاية

**أ.د/ جابر نصار**
رئيس جامعة القاهرة

مقرر المؤتمر
**أ.د/ عبد الراضى محمد عبد المحسن**
رئيس قسم الفلسفة
ووكيل الكلية لشئون خدمة المجتمع

رئيس المؤتمر
**أ.د/ علاء محمد رأفت**
عميد كلية دار العلوم

# دور الثقافة الإسلامية في التربية الأخلاقية

د٠ سعيد بن راشد الصوافي (*)

الأخلاق هي الأساس في رقي الأمم وتطورها وبقائها ، كما أنها سبب في هلاكها وشقائها ودمارها ، وكما قال الشاعر العربي :

**فإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا**

ذلك أن الأخلاق الحميدة الفاضلة هي أساس التعامل الإنساني ، الذي ينتج عنه التعاون وحب الخير ، والعمل المخلص الدءوب ، كما أن الأخلاق المنحرفة هي العائق في سبيل أعمال الخير ، والجدية والإخلاص في العمل ؛ فالأخلاق هيئة راسخة في النفس تصدر عنها الأفعال الاختيارية ؛ سواء كانت حسنة أو سيئة؛ لأنها قابلة بطبيعتها لتأثير التربية الحسنة والسيئة ، فإن تربّت نفس الإنسان على الأخلاق الفاضلة والسجايا الحسنة ؛ صدر عنها الأفعال الحسنة ، والأخلاق الفاضلة، وإن أهملت تأثرت بما حولها من مؤثرات ، وأثرت في السلوك ، ونتج عنها أعمال سلبية ، تضر بالأفراد والمجتمعات .

والحقيقة أننا نعيش زمناً تدهورت فيه أخلاقيات الناس، نظراً لظروف طارئة على المجتمعات الإنسانية؛ خاصة الاتجاه المادي، الذي ينساق إليه أفراد المجتمعات من حيث لا يشعرون؛ ولذلك يتناسون القيم التي ينبغي أن تسود التعامل الإنساني ، والمجتمعات اليوم في أمس الحاجة إلى وسائل متنوعة ، هدفها تربية الناس على الأخلاق القويمة، وهناك وسائل متنوعة معنية بالتربية ، والأساس الذي يجب أن

(*) جامعة السلطان قابوس سلطنة عمان .

تنطلق منه هذه الوسائل يجب أن يؤسس على مصدر أصيل ؛ لذا كانت الثقافة الإسلامية هي الأساس الذي انطلقت منه التربية الأخلاقية الإسلامية .

والثقافة الإسلامية هدفت في الأساس إلى تهذيب الأخلاق وتقويمها ، جاء ذلك على لسان رسولها الكريم . صلى الله عليه وسلم . في قوله: ((إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)). فالثقافة الإسلامية جاءت بهدف تربية الإنسان تربية توصوله إلى مرتبة المثالية التي أرادها الله له أن يتبوأها في هذا الوجود.

هذه الورقة البحثية التي تحمل عنوان **(دور الثقافة الإسلامية في التربية الأخلاقية)** تهدف إلى توضيح أهمية التربية الأخلاقية وأثرها الحضاري عموماً ، ودور الثقافة الإسلامية في التربية الأخلاقية على وجه الخصوص ، وقد جاءت في : مقدمة، وتمهيد ، وثلاثة محاور. المقدمة : تضمنت أهمية الموضوع ، وأهداف البحث، ثم بعد ذلك يأتي التمهيد ؛ الذي يناقش المفاهيم ذات الصلة بالموضوع ، ثم يأتي المحور الأول : التربية الأخلاقية وأثرها في ارتقاء الأمم والشعوب ؛ وهو يوضّح دور التربية الأخلاقية عموماً في الارتقاء بأخلاقيات أفراد الأمم والشعوب . أما المحور الثاني : خصائص الثقافة الإسلامية ودورها في التربية الأخلاقية ؛ يبيّن خصائص الثقافة الإسلامي، والهدف الأساس الذي تريد الثقافة الإسلامية تحقيقه ، والأثر الذي تطبع به أفراد المجتمع من سمو الأخلاق ، وحميد الصفات . ويأتي المحور الثالث : نماذج من التربية الأخلاقية للثقافة الإسلامية ؛ مبيناً أنموذجاً النماذج الرائعة التي تربت في ظل الثقافة الإسلامية ، وكيف انطلقت بسمو أخلاقها في رحاب المعمورة ، محققة بذلك الغاية من وجود الإنسانية في هذه الأرض . ثم تأتي الخاتمة لتحمل النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

**أهمية الموضوع**

يرتبط مدى صلاح المجتمعات وفلاحها واستقرارها بمدى حياة أفرادها الأخلاقية؛ فالأخلاق من أهم الصفات التي تميّزت بها الإنسانية، ومن هنا تتجلى أهمية التربية الأخلاقية في كون الخُلق سجية وطبع؛ يكتسبها الإنسان من تعوده وممارساته الحياتية، فلا بد من تربية الإنسان تربية فاضلة حسنة؛ لينشأ على مكارم الأخلاق، وكريم الصفات، وقد جاء الإسلام بنظام تشريعي شمولي متكامل؛ هدفه توجيه السلوك البشري في هذه الحياة نحو العيش الكريم، والحياة الفاضلة، وأعطى النبي . صلى الله عليه وسلم . البناء السلوكي الأخلاقي أهمية عظمى؛ حتى جعل غرسه في الطفل وتعويده عليه . ليصبح طبيعة من طبائعه الخُلُقية، وسجية من سجاياه الطبيعية . أفضل من عملية الصدقة التي تطفئ الخطيئة، مع ما في الصدقة من أهمية في الإسلام[1]. وحُسن الخلق يكسب العقل النافذ، ومن العقل النافذ حُسن العادة، ومن حسن العادة الطباع المحمودة، ومن الطباع المحمودة العمل الصالح[2].

**أهداف البحث**

١ . بيان أثر التربية الأخلاقية في ارتقاء الأمم والشعوب.

٢ . توضيح خصائص الثقافة الإسلامية ودورها في التربية الأخلاقية، وبيان الهدف الأساسي الذي تريد الثقافة الإسلامية تحقيقه، والأثر الذي تطبع به أفراد المجتمع من سمو الأخلاق وحميد الصفات.

٣ . الوقوف على بعض النماذج الرائعة من التربية الأخلاقية للثقافة الإسلامية، التي تربت في ظل الثقافة الإسلامية، وكيف انطلقت بسمو أخلاقها في رحاب المعمورة، محققة بذلك الغاية من وجود الإنسانية في هذه الأرض.

**خطة البحث**

---

(١) يُنظر: العك، خالد عبدالرحمن، تربية الأبناء والبنات في ضوء الكتاب والسنة، دار المعرفة . بيروت، طبعة خاصة، ٢٠٠٨م، ص١٣٤.

(٢)الماوردي، علي بن محمد، نصيحة الملوك، مكتبة الفلاح . الكويت، ط١، ١٩٨٣م، ص١٧٣.

تمثلت خطة البحث في الآتي:

المقدمة: تضمنت أهمية الموضوع ، وأهداف البحث.

التمهيد: حوى المفاهيم ذات الصلة بالموضوع.

. المحور الأول: التربية الأخلاقية وأثرها في ارتقاء الأمم والشعوب؛ وضّح دور التربية الأخلاقية في الارتقاء بأخلاقيات أفراد الأمم والشعوب.

. المحور الثاني: خصائص الثقافة الإسلامية ودورها في التربية الأخلاقية؛ بيّن خصائص الثقافة الإسلامي، والهدف الأساس الذي تريد الثقافة الإسلامية تحقيقه، والأثر الذي تطبع به أفراد المجتمع من سمو الأخلاق.

. المحور الثالث: نماذج من التربية الأخلاقية للثقافة الإسلامية؛ يذكر أنموذجاً من النماذج التي سارت على منهج التربية الأخلاقية للثقافة الإسلامية.

. الخاتمة: حوت أهم النتائج.

**التمهيد: المفاهيم ذات الصلة بالموضوع**

**١ . الثقافة**

**الثقافة في اللغة:** أصل كلمة ثقافة في اللغة مأخوذة من [ ث ق ف ] وجاءت في المعاجم اللغوية على أمرين: الأول: ثَقَفَ، بمعنى: صادف، أو أخذ، أو ظفر أو أدرك وبهذا المعنى جاء قول الله تعالى: {فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ...} [الأنفال: ٥٧]. والثاني: ثَقِفَ، أي: صار حاذقاً فطناً، ومن هذا المعنى: ثقِف الكلام: حذقه وفهمه بسرعة، وثقَّف الرمح: قوّمه وسوّاه، وثقَّف الولد: هذّبه وعلّمه[١].

**الثقافة في الاصطلاح:** هناك تعريفات كثيرة لمصطلح للثقافة، فكل ينظر بمنظوره وتصوره، ويمكن أن نعتمد تعريف الدكتور/ عزمي طه السيد، فقد عرّف

(١) يُنظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، دار ومكتبة الهلال، مادة (ثقف) ج٥، ص١٣٨، ١٣٩. وابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي . بيروت، ط٢، ١٩٩٧م، مادة (ثقف)، ج٢، ص١١١، ١١٢.

الثقافة من منطلقين؛ عام وخاص: فالتعريف العام: الثقافة عموماً هي: معرفة عملية مكتسبة، تنطوي على جانب معياري، وتتجلى في سلوك الإنسان الواعي في تعامله في الحياة الاجتماعية مع الوجود. أما التعريف الخاص، وهو خاص بالثقافة الإسلامية فهي: معرفة عملية مكتسبة، تنطوي على جانب معياري مستمد من شريعة الإسلام ومؤسس على عقيدته، وتتجلى في سلوك الإنسان الواعي في تعامله في الحياة الاجتماعية مع الوجود[1].

**٢ ـ التربية**

**التربية في اللغة:** كلمة (تربية) يمكن أن تكون مشتقة: من ربا، يربو؛ بمعنى: نما وزاد. تقول: "رَبا الشيءُ: يَرْبُو رُبُوّاً، ورِباءً: زاد ونما، وأَرْبَيْتُه: نَمَّيته، وفي التنزيل العزيز {ويُرْبِي الصدَقات}". أو بمعنى: نشأ وترعرع، تقول: "رَبَوْتُ في بَني فلان أَرْبُو نَشَأْتُ فيهم، ورَبَّيْتُ فلاناً أُرَبِّيه تَرْبِيَةً"، ويمكن أن تكون مشتقة من: رَبَّ ، يربِّي، بمعنى: أصلح الشيء، "ويكون الرَّبُّ المُصْلِحَ رَبَّ الشيءَ إذا أَصْلَحَه"[2].

**التربية في الاصطلاح:** هي عملية إنماء الشخصية بصورة متوازنة ومتكاملة أي تشمل جوانب الشخصية الجسدية والاجتماعية والجمالية والروحية والأخلاقية والعقلية والوجدانية[3].

**٣ ـ الأخلاق**

**الأخلاق في اللغة:** الخلق: السجيَّة. يقال: خالص المؤمن وخالق الفاجر، وفي الحديث: ليس شيء في الميزان أثقل من حسن الخلق، والخُلُق، بضم اللام وسكونها: هوالدين والطبع والسجية، وهو جمع أخلاق[4]، قال الراغب الأصفهاني: "الخَلْقُ والخُلُق

---

([1])عزمي طه السيد، وآخرون، الثقافة الإسلامية مفهومها ومصادرها، دار المناهج . عمان، ط٤، ٢٠٠٢م، ص٣٢.

([2]) يُنظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (ربب) ج٥، ص٩٤ . ١٠١.

([3]) مطاوع، إبراهيم عصمت، أصول التربية، دار المعارف . القاهرة، ط٧، ١٩٩٤م، ص٦٥.

([4]) يُنظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (خلق) ج٤، ص١٩٤.

فى الأصل واحد ... لكن خص الخَلْقُ بالهيئات والأشكال والصور المدركة بالبصر، وخص الخُلُقُ بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة"[١].

**الأخلاق في الاصطلاح:** عرّفها الغزالي بأنها: "هيئة في النفس راسخة، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة الى فكر وروية"[٢]. وعرّفها عبدالكريم زيدان بأنها "مجموعة من المعاني والصفات المستقره في النفس، وفي ضوئها وميزانها يحسن الفعل في نظر الإنسان أو يقبح، ومن ثم يقدم عليه أو يحجم عنه"[٣].

وفحوى هذين التعريفين أن الأخلاق معاني مستقرة وراسخة في النفس الإنسانية، وعن هذه المعاني تصدر تصرفات الإنسان وأفعاله بطريقة عفوية لا تكلف فيها، ويضيف التعريف الثاني الضابط للإقدام والإحجام عن صدور هذه الأفعال، وهو الحسن أو القبح.

وقد فسّر الجرجاني في تعريفاته ذلك بعد ذكره لتعريف الغزالي بقوله: "فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة عقلاً وشرعاً بسهولة سميت الهيئة خُلقاً حسناً، وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة سُمّيت الهيئة التى هى المصدر خلقاً سيئاً"[٤].

**المحور الأول : التربية الأخلاقية وأثرها في ارتقاء الأمم والشعوب**

التربية الأخلاقية هي المقياس الصادق الذي تقاس به خطواتُ الشعوب، ونهضات الأمم. بل هي الأساس المتين الذي تبنى عليه عظمة الأمم وارتقاؤها؛ فما ارتقت أمة في العالم القديم أو الحديث إلا وكان سببُ ذلك سمو أخلاقِ أفرادها، وقناعتَهم، وحبَّهم الناسَ محبتَهم أنفسَهم، وإخلاصَهم في العمل لوطنهم، وانتشار روح

---

(١) الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، دار الكتب العلمية . بيروت، ط١٩٩٧،١م، ص١٧٧.

(٢) الغزالي، محمد بن محمد أبو حامد، إحياء علوم الدين، دار المعرفة . بيروت، ج٣، ص٥٣.

(٣)عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة، مؤسسة الرسالة . بيروت، ط٩، ٢٠٠٢م، ص٧٩.

(٤) الجرجاني،الشريف علي بن محمد، كتاب التعريفات، دار الكتب العلمية . بيروت، ١٩٩٥م، ص١٠١.

النشاط والإقدام بينهم، وبعدهم من الفخر والرياء، والدسائس والفتن، ونفورهم من الانقسام والمخاصمة. قال لوثر: "ليست سعادة الدول بوفرة إيرادها، ولا بقوة حصونها، ولا بجمال مبانيها، وإنما سعادتها بكثرة المهذبين من أبنائها، وعلى مقدار الرجال ذوي التربية والأخلاق فيها، وما انحطت أمة، ولا أفل نجم مجدها، ولا زال سلطانها، إلا بزوال تلك الأخلاق الفاضلة من نفوس أبنائها، وانغماسهم في الشر والفساد"[1].

إن للتربية الأخلاقية أهمية بالغة في ارتقاء الأمم والشعوب؛ فمكارم الأخلاق ضرورة إنسانية لا يستغنى عنها مجتمع ولا أمة من الأمم، ومتى فقدت الأخلاق تفكك أفراد المجتمع وتصارعوا، وأدى ذلك إلى فوضى وصراعات[2]، فصلاح أي مجتمع وفساده منوطان بما تكون عليه أخلاق أفراده ونفوسهم بما تكون عليه من صلاح وفساد[3]، يقول الغزالي: "فقد قرر الإسلام أن بقاء الأمم وازدهار حضارتها واستدامة منعتها إنما يُكفَل لها إذا ضُمنت حياة الأخلاق فيها، فإذا سقط الخُلُق سقطت الدولة معه"[4]؛ لذلك اعتنى بها القرآن الكريم أيما عناية، وحفلت آياته ببيان أسس الأخلاق ومكارمها، واعتنت السنة المطهرة أيضاً بذلك، فكانت حقيقة دعوة الرسول – صلى الله عليه وسلم – مكارم الأخلاق[5]: {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ} [الجمعة: ٢]. ونقف هنا مع قوله تعالى: { وَيُزَكِّيهِمْ}؛ فالتزكية هنا كما يقول صاحب الظلال: "تطهير للضمير والشعور، تطهير للعمل والسلوك، وتطهير للحياة الزوجية، وتطهير

---

(1) الموسوعة الحرة، ويكيبيديا، التربية الأخلاقية، الشبكة العالمية.

(2) الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة، الأخلاق الإسلامية وأسسها، دار القلم . دمشق، ط٣، ١٩٩٢م، ج١، ص٣٤.

(3) محمد جمعة عبدالله، القرآن الكريم منهجه ووسائله في التربية الأخلاقية، المكتبة الأزهرية للتراث، ط١، ٢٠٠٢م، ص١٠.

(4) الغزالي، محمد، خلق المسلم، دار الدعوة ، ط٣، ١٩٩٠م، ص٣٧.

(5) يُنظر: الزكي، جمال محمد، إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق، المكتبة الشاملة، ص٤٥.

للحياة الاجتماعية ... إنها تزكية شاملة للفرد والجماعة ولحياة السريرة وحياة الواقع"[١].

إن أهم دور للتربية الأخلاقية في الثقافة الإسلامية يتمثل في كونها وسيلة لبناء خير فرد، وخير مجتمع، وخير أمة؛ فالعلاقة بين هذه الجوانب وثيقة الصلة؛ من حيث إن بناء خير فرد وسيلة إلى بناء خير مجتمع، وبناء خير مجتمع وسيلة إلى بناء خير حضارة، والغاية من هذا كله تحقيق سعادة عامة شاملة في المجتمع على المستوى الفردي والجماعي[٢].

فعلى المستوى الفردي تتبيّن أهمية الأخلاق من حيث إن لها تأثيراً كبيراً فى سلوك الإنسان وما يصدر عنه، فإن سلوك الإنسان موافق لما هو مستقر فى نفسه من معانٍ وصفات، يقول الإمام الغزالى: "فإن كل صفة تظهر فى القلب يظهر أثرها على الجوارح، حتى لا تتحرك إلا على وفقها لا محالة"[٣]، فأفعال الإنسان موصولة دائماً بما فى نفسه من معانٍ وصفات. وتبعاً لذلك فإن صلاح أفعال الإنسان بصلاح أخلاقه، ولهذا أكد الإسلام على صلاح النفوس، وبيَّن أن تغيير أحوال الناس من سعادة وشقاء ويسر وعسر ورخاء وضيق وطمأنينة وقلق وعز وذل ونحوها تبع لتغيير ما بأنفسهم من معانٍ[٤].

وكما أن للأخلاق الأهمية الكبرى فى ارتقاء السلوك الفردى؛ فإن ارتقاء القوى المعنوية للأمم والشعوب ملازم لارتقائها فى سلم الأخلاق الفاضلة وأن انهيار القوى المعنوية للأمم والشعوب ملازم أيضاً لانهيار أخلاقها، وذلك لأن الأخلاق الفاضلة فى أفراد الأمم والشعوب تمثل المعاقد الثابتة التى تعقد بها الروابط الاجتماعية، ومتى

---

(١) قطب، سيد، في ظلال القرآن، دار الشروق . بيروت، ط١٥، ١٩٨٨م، مج٦، ج٢٨، ص٣٥٦٥.

(٢) يُنظر: يالجن، مقداد، التربية الأخلاقية الإسلامية، دار عالم الكتب . الرياض، ط٢، ١٩٩٦م، ص١٣٨.

(٣) إحياء علوم الدين، ج٣، ص٥٩.

(٤) زيدان، أصول الدعوة، ص٧٩ . ٨٠.

انعدمت هذه المعاقد أو انكسرت فى الأفراد لم تجد الروابط الاجتماعية مكاناً تنعقد عليه"[١].

والأخلاق الاجتماعية تحدد للمجتمع أهدافه ومثله العليا، ومبادئه الثابتة والمستقرة، وتساعد على مواجهة المتغيرات التى تحدث فيه، بتحديدها الاختبارات الصحيحة التى تسهل على الناس حياتهم وتحفظ لهم استقرارهم وكيانهم فى إطار موحد، كما أنها تقى المجتمع من الأنانية الفردية ونزعات الشهوات الطائشة، حيث تحمل الأفراد على التفكير فى أعمالهم على أنها محاولات للوصول إلى الأهداف فى غايات فى حد ذاتها .

كما أن الأخلاق تزود المجتمع بالصيغة التى يتعامل بها مع العالم وتحدد له أهداف ومبررات وجوده، وتعطى نمطاً معيناً من الشخصيات الإنسانية القادرة على التكييف الإيجابى فى المجتمع سواء المحلى أو الدولى[٢]، فالأخلاق الاجتماعية قد سماها الرسول – صلى الله عليه وسلم – بـ " صلاح ذات البين " . فعن أبى الدرداء – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ قالوا: بلى. قال: صلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هى الحالقة))[٣].

لذلك أوجب الإسلام على المجتمع كله، بكافة أطيافه وفئاته بالتعاون في مراقبة سلوك الأفراد داخل المجتمع، وتطهير المجتمع من الأخلاق السيئة، والرذيلة؛ كي يحافظ هذا المجتمع على صفائه ونقائه، ولذلك شرع بعض الأحكام التي من شأنها ردع الذي تسول له نفسه الخروج عن الآداب الحسنة والأخلاق الفاضلة، يقول الله

---

(١) الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها، ج١، ص٣٥،٣٤.

(٢) أبو العينين، علي خليل، القيم الإسلامية والتربية، مكتبة إبراهيم حلبي . المدينة المنورة، ١٩٨٨م، ص٣٧.

(٣) الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي، دار إحياء التراث العربي . بيروت، تح: محمد أحمد شاكر، حديث رقم (٢٥٠٩)، ج٤، ص٦٦٣.

تعالى: {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللهِ} [المائدة: ٣٨]، ويقول: {الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} [النور: ٢]، ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: ((من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان))[١]. فالأمة كلها بكافة فئاتها مطالبة بالتعاون في سبيل تحسين الأخلاق؛ وذلك عن طريق الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والأخذ بيد الظالم، وكف يد العابث، وبذلك يكون أفراد المجتمع كما أراد لهم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقوله: ((مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى))[٢].

**المحور الثاني : خصائص الثقافة الإسلامية ودورها في التربية الأخلاقية**

الخُلُق هيئة راسخة في النفس، تصدر عنها الأفعال الاختيارية من حسنة وسيئة، وهي قابلة بطبعها لتأثير التربية الحسنة والسيئة فيها، فإن روضت النفس على حب الجميل وترك القبيح أصدرت الأفعال الجميلة بدون تكلف، وإن أهملت فلم تهذب التهذيب اللائق، صدرت عنها الرذائل والنقائص[٣].

إن الهدف الأساسي للثقافة الإسلامية؛ تربية النفس على الأخلاق الفاضلة، ليقوم الإنسان بواجبه المنوط به في هذه الحياة، وهو خلافة الله في الأرض، والثقافة الإسلامية المنبثقة من تعاليم الإسلام تعتبر الأخلاق والتمسك بها ليس من سبيل

---

(١) مسلم، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، دار الجيل، ودار الآفاق الجديدة ـ بيروت، حديث رقم (١٨٦)، ج١، ص٥٠.

(٢) مسلم، صحيح مسلم، حديث رقم (٦٧٥١)، ج٨، ص٢٠.

(٣) الجمل، محمد جهاد، التربية الأخلاقية، الشبكة العالمية، الرابط:
(www.hamdaneducation.com/arabic/EPeJdocs/11.htm)

الترف، التي يمكن الاستغناء عنها، بل هي أصول الحياة التي يرتضيها الدين ويحترم ذويها[١].

ولذلك نجد أن أهم ما يميز الأخلاق الإسلامية الآتي[٢].

١ ـ أن مصدرها الوحي؛ ولذلك فهي قيم ثابتة ومثل عليا، تصلح لكل إنسان بصرف النظر عن جنسه وزمانه ومكانه ونوعه. يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: ((إن خياركم أحاسنكم أخلاقاً))[٣].

٢ . أنها منبثقة عن العقيدة الإسلامية: لذلك نجد الأخلاق الإسلامية مرتبطة بالعقيدة ارتباطاً قوياً وعميقاً، بحيث يستحيل الفصل بينهما، يقول الإمام الغزالي:"حسن الخُلُق هو الإيمان، وسوء الخُلُق هو النفاق، وقد ذكر الله تعالى صفات المؤمنين والمنافقين في كتابه، وهي بجملتها ثمرة حُسْن الخلق وسوء الخلق، فلنورد جملة من ذلك لتعلم آية حسن الخلق، قال الله تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ} [المؤمنون:١ . ٥]، وقال تعالى : {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا} [الفرقان: ٦٣]، من أشكل عليه حاله فليعرض نفسه على هذه الآيات، فوجود جميع هذه الصفات علامة حسن الخلق، وفقد جميعها علامة سوء الخلق، ووجود بعضها دون بعض يدل على البعض دون البعض، فليشتغل بتحصيل ما فقده، وحفظ ما وجده"[٤].

---

(١)ينظر: الغزالي، خلق المسلم، ص١٧.

(٢)ينظر: الزكي، إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق، ص١٢.

(٣)البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، دار ابن كثير واليمامة . بيروت، ط٣، ١٩٨٧م، تح: مصطفى ديب البغا، حديث رقم (٥٦٨٨)، ج٥، ص ٢٢٤٥.

(٤)الغزالي، إحياء علوم الدين، ج٣، ص٦٩.

وقد وصف رسول الله . صلى الله عليه وسلم . المؤمن بصفات كثيرة، وأشار بجميعها إلى محاسن الأخلاق، فقال صلى الله عليه وسلم: ((من كان يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فلا يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كان يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كان يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أو لِيَصْمُتْ))[1]، وقال عليه الصلاة والسلام: ((لَا يُؤْمِنُ أحدكم حتى يُحِبَّ لِأَخِيهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ))[2]، وقال: ((أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَاناً أَحْسَنُهُمْ خُلُقاً))[3].

وفي مقابل ذلك نجد الوعيد الشديد لمن يصدر عنه سوء الخلق في أقواله وأفعاله، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: ((والله لَا يُؤْمِنُ، والله لَا يُؤْمِنُ، والله لَا يُؤْمِنُ، قِيلَ: وَمَنْ يا رَسُولَ اللَّهِ. قال: الذي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بوائقه))[4]. ولذا نجد الرسول . صلى الله عليه وسلم . يهذب أخلاق الصحابة، ويغرس في نفوسهم الإعراض عن اللغو، ومجانبة الثرثرة، يقول صلى الله عليه وسلم: ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت، ولا يؤذي جاره أبداً))[5]. وهكذا يمضي في غرس الفضائل وتعهدها حتى تؤتي ثمارها، معتمداً على صدق الإيمان وكماله.

٣ . شمول الأخلاق الإسلامية جميع مجالات الحياة: وأول هذه المجالات التخلق مع الله عز وجل، وأيضاً مع من اصطفاهم الله لحمل رسالته، فقد أوجب الإسلام على المؤمنين أن يتقيدوا بالأخلاق الحسنة؛ بحيث لا يقطعون أمراً دون الله ورسوله، ولا يعجلون به[6]، يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ

---

(1)البخاري، صحيح البخاري، حديث رقم (٥٦٧٢)، ج٥، ص٢٢٤٠.

(2)المرجع السابق، حديث رقم (١٣)، ج١، ص١٤.

(3)أبو داود، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، دار الكتاب العربي . بيروت، حديث رقم (٤٦٨٤)، ج٤، ص٣٥٤.

(4)البخاري، صحيح البخاري، حديث رقم(٥٦٧٠)، ج٥، ص٢٢٤٠.

(5)الربيع بن حبيب، الجامع الصحيح مسند الإمام الربيع، دار الحكمة . بيروت، ومكتبة الاستقامة . مسقط، ١٤١٤هـ، تح: محمد إدريس، وعاشور بن يوسف، حديث رقم (٦٨٣)، ص٢٦٦.

(6)الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير، دار الحديث . القاهرة، ط٣، ١٩٩٧م، ج٥، ص٨٤.

اللهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [الحجرات: ١]، يقول السعدي عند تفسير هذه الآية: "هذا متضمن للأدب، مع الله تعالى، ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتعظيم له، واحترامه، وإكرامه"[١]. وربط بين الإيمان والاستجابة والإذعان لأمر الله ورسوله، يقول الله تعالى: {إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [النور: ٥١]. وهناك خُلُق مع الآخرين؛ فمع المسلم يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: ((المسلم أخو المسلم؛ لا يخونه ولا يكذبه ولا يخذله، كل المسلم على المسلم حرام؛ عرضه وماله ودمه، التقوى ههنا، بحسب امرئ من الشر أن يحتقر أخاه المسلم))[٢]، ومع غير المسلم يقول الله تعالى: { لَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} [الممتحنة: ٨]، إلى غير ذلك من مجالات الحياة المختلفة، يقول الغزالي: "قد تكون لكل دين شعائر خاصة به، تعتبر سمات مميزة له، ولا شك أن في الإسلام طاعات معينة، ألزم بها أتباعه، وتعتبر فيما بينهم أموراً مقررة، لا صلة لغيرهم بها، غير أن التعاليم الخُلُقية ليست من هذا القبيل؛ فالمسلم مكلف أن يلقى أهل الأرض قاطبة بفضائل لا ترقى إليها شبهة، فالصدق واجب على المسلم مع المسلم وغيره، والسماحة والوفاء والمروءة والتعاون والكرم.. الخ"[٣].

٤ . أن الأخلاق الإسلامية أخلاق عملية: هدفها التطبيق الواقعي، وبيان طرق التحلي بها. يقول الرسول – صلى الله عليه وسلم – لعبد الله بن عمر رضي الله عنه:

---

(١)السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠٠م، ج١، ص٧٩٩.

(٢)الترمذي، سنن الترمذي، حديث رقم (١٩٢٧)، ج٤، ص٣٢٥.

(٣)الغزالي، خُلُق المسلم، ٣٥،٣٦.

((أربع إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا: حفظ أمانة، وصدق حديث، وحسن خليقة، وعفة في طعمة))[1].

٥ . مصدر الإلزام فى الأخلاق الإسلامية هو شعور الإنسان بمراقبة الله تعالى . فقد سئل الرسول – صلى الله عليه وسلم – عن أكثر ما يدخل الناس الجنة فقال: ((تقوى الله وحسن الخلق))[2]. وروي عن سهل بن سعد أن رسول الله . صلى الله عليه وسلم . قال: ((إن الله عز وجل يحب معالي الأخلاق ويكره سفاسفها))[3].

٦ ـ لا تحكم على الأفعال بظاهرها فقط؛ ولكن تمتد إلى النوايا والمقاصد والبواعث التى تحرك هذه الأفعال الظاهرة، يقول صلى الله عليه وسلم: ((إنما الأعمال بالنيات))[4].

٧ . مبادئها تقنع العقل، وترضى القلب والوجدان، فما من نهى شرعى إلا معه مسوغات ودوافع تحريمه، يقول تعالى: {وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً} [الإسراء: ٣٢] {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ} [المائدة: ٩٠، ٩١]، وكذلك الأخلاق الإسلامية تقبلها الفطرة السليمة ولا يرفضها العقل. وقد حدد رسول الإسلام سيدنا محمد . صلى الله

---

(1)أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، عالم الكتب . بيروت، ط١، ١٩٩٨م، تح: السيد أبو المعاطي النوري، حديث رقم (٦٦٥٢)، ج٢، ص١٧٧.

(2)ابن حبان، محمد بن حبان، صحيح ابن حبان، مؤسسة الرسالة، حديث رقم(٤٧٦)، ج٢، ص٢٢٤.

(3)البيهقي، أحمد بن الحسين، شعب الإيمان، مكتبة الرشد . الرياض، ط١، ٢٠٠٣م، تح: عبدالعي عبدالحميد، حديث رقم (٧٦٤٧)، ج١٠، ص٣٧٢.

(4)البخاري، صحيح البخاري، حديث رقم (١)، ج١، ص١.

عليه وسلم . الغاية من رسالته، والمنهاج المبين في دعوته، حيث قال: ((إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق))[1].

٨ . الربط بين الأخلاق والعبادة: المبادئ الدينية والقيم الروحية تؤثر في وجدان الأفراد، وتترك مسحتها الطاهرة، وتعاليمها السامية في سلوكهم، بل أكثر من ذلك تصوغ جانباً من أخلاقياتهم؛ فهي تنأى بهم عن المهاوي والرذائل، لترتفع بهم إلى عالم المُثل، والحياة الفاضلة[2]. إن الرباط الوثيق بين الأخلاق والعبادة في الثقافة الإسلامية واضح وجلي؛ بحيث إنه لا انفكاك بينهما؛ بل إن الثقافة الإسلامية تعتبر العبادات المشروعة مؤدية إلى حُسن الخلق؛ ولا أدل على ذلك من قول الله تعالى: {اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ} [العنكبوت: ٤٥]؛ فقد قرن الله سبحانه وتعالى الأمر بإقامة الصلاة ببيان الحكمة من ذلك؛ وهي أنها تهذب سلوكه، وتحميه من الوقوع في الفواحش والمنكرات. وفي الأمر بالزكاة يقول الله تعالى {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا} [التوبة: ١٠٣] فالزكاة في الإسلام ليست ضريبة تؤخذ من الجيوب، وإنما هي عبادة يؤديها المسلم عن طيب نفس، وفيها غرس لمشاعر الحنان والرأفة، وتوطيد علاقة المحبة والألفة بين أطياف المجتمع[3].

إن سيدنا محمد . صلى الله عليه وسلم . المنوط به تعليم المسلمين وتربيتهم على الثقافة الصحيحة المتجلية في السلوك سأل أصحابه ذات يوم، فقال: ((أتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال: إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال

---

(١)البيهقي، أحمد بن الحسين، سنن البيهقي، مكتبة دار الباز . مكة المكرمة،١٩٩٤م، تح: محمد عبدالقادر عطا، حديث رقم (٢٠٥٧١)، ج١٠، ص١٩١.

(٢)عفيفي، محمد الصادق، الفكر الإسلامي مبادئه . مناهجه . قيمه . أخلاقياته، مكتبة الخانجي . القاهرة، ص٢٣٣.

(٣)الغزالي، خلق المسلم، ص١٢.

هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح فى النار))[1]. وفي هذا ورد عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن رجلاً قال له يا رسول الله: إن فلانة تذكر من كثرة صلاتها وصيامها وصدقتها، غير أنها تؤذى جيرانها بلسانها. قال: ((هى فى النار)). قال يا رسول الله: فإن فلانة تذكر من قلة صيامها وصدقتها وصلاتها، وأنها تتصدق بالأثوار من الأقط، ولا تؤذى جيرانها بلسانها. قال: ((هى فى الجنة))[2]. هذه التربية التي تعتمد الأخلاق معياراً في قبول الأعمال؛ كفيلة أن يكون لها تأثير في النفس البشرية، فتظهر آثارها في سلوك أفراد المجتمع، مما ينعكس إيجاباً على المجتمع بأسره.

٩ ـ القدوة الحسنة: وباعتبار الثقافة سلوك وممارسة؛ فإن التربية الأخلاقية في الثقافة الإسلامية لها رصيد واسع في هذا الجانب، فلم يكن النبي صلى الله عليه وسلم ـ يكتفي بالتوجيه والإرشاد وإصدار الأوامر والنواهي تبليغاً عن ربه؛ وإنما كان النبي القدوة والمثل الأعلى في تطبيق تعاليم ومبادئ وقيم الإسلام، فقد كان بين أصحابه المثل الأعلى فيما يدعوهم إليه، يغرس في أصحابه هذه الثقافة بسيرته الحسنة، وسجاياه الفاضلة، والآثار أكثر من أن تُحصى في هذا المجال، ويكفي وصف القرآن الكريم له {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} [القلم: ٤]، وقد وصفته السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ عندما سألها أحد الصحابة عن خُلُق رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقولها: ((كان خلقه القرآن، أما تقرأ القرآن، قول الله عز و جل: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ}))[3]، أي أنه كان يُترجم أوامر ونواهي القرآن الكريم على واقع حياته، فكان القدوة في

---

([1])مسلم، صحيح مسلم، حديث رقم (٦٧٤٤) ، باب تحريم الظلم، ج٨، ص١٨.

([2])أحمد بن حنبل، مسند أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة ـ القاهرة، حديث رقم (٩٩٢٦)، ج٢٠، ص٤٦٧.

([3]). أحمد بن حنبل، مسند أحمد بن حنبل، حديث رقم (٢٤٦٤٥)، ج٦، ص٩١.

التطبيق العملي لثقافة الإسلام في كل جوانبها، وسيأتي تفصيل لهذا الجانب في المحور التالي.

**المحور الثالث : نماذج من التربية الأخلاقية للثقافة الإسلامية**

كم هي النماذج الرائعة التي تربت في ظل الثقافة الإسلامية، وانطلقت بسمو أخلاقها في رحاب المعمورة، ولكن الأنموذج الأمثل للتربية الأخلاقية في الثقافة الإسلامية، والقدوة الكاملة تتمثل في شخص رسول الإسلام؛ سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فقد زكّاه ربه . وليس بعدها تزكية . فقال تعالى: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} [القلم ٤]، ووصفته السيدة عائشة . رضي الله عنها بقولها: ((كان خلقه القرآن)). أي أن أخلاقه . عليه الصلاة والسلام . تجسيد عملي لما جاء به القرآن الكريم من أوامر ونواهي ومُثُلٍ عليا، فقد اختاره ربه ليكون أسوة ومثلاً أعلى للبشرية، فقال تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا} [الأحزاب: ٢١]، وقال: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} [التوبة: ١٢٣]، ومن ثَمَّ قال النبي . صلى الله عليه وسلم . متحدثاً عن نعمة ربه عليه: ((أدبني ربي فأحسن تأديبي))[١]، وقال: ((لقد علمتم أني أصدقكم وأتقاكم لله وأبركم))[٢]. يقول عنه أنس بن مالك رضي الله عنه: ((كان رسول الله . صلى الله عليه وسلم . أحسن الناس خُلُقًا))[٣].

---

(١)البرهان فوري، علاء الدين علي بن حسام، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، مؤسسة الرسالة، ط٥، ١٩٨١م، حديث رقم (٣١٨٩٥)، ج١١، ص٤٠٦.

(٢)الطحاوي، أبو جعفر أحمد بن محمد، شرح معاني الآثار، عالم الكتب، ط١، ١٩٩٤م، حديث رقم (٣٨٨٢)، ج٢، ص١٩٢.

(٣)مسلم، صحيح مسلم، حديث رقم(١٥٣٢)، ج٢، ص١٧٢.

وإذا أردنا أن نتحدث عن الجوانب التي تمثل نماذج أخلاقية في حياة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلن نستطيع الإلمام بها، وحسبنا أن نقف مع بعض الجوانب منها، وهي:

١ ـ في جانب العبادة: فقد كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أتقى الناس وأخشاهم لله، وأكثرهم عبادة، فمن كريم أخلاقه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه كان شاكراً. تقول السيدة عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إذا صلى قام حتى تفطر رجلاه. قالت عائشة: يا رسول الله أتصنع هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: ((يا عائشة: أفلا أكون عبداً شكوراً))[١].

٢ ـ في جانب الرحمة بأمته: أساس رسالة النبي ـ صلى الله عليه وسلم يوضحها قول الله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ} [الأنبياء: ١٠٧]، فهو ـ صلى الله عليه وسلم ـ رحمة للعالمين جميعاً وليس للمؤمنين فحسب، وقد تمثل هذا الخلق الرفيع في شخصه صلى الله عليه وسلم، فقال متحدثاً ((إنما أنا رحمة مهداة))[٢]. وعندما طلب منه بعض أصحابه أن يدعو على المشركين قال: ((إني لم أبعث لعَّانًا، وإنما بعث رحمة))[٣].ودعا لهم بالهداية. وحث المسلمين بالتحلي بهذا الخلق الفاضل، فقال: ((الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء))[٤].

٣ ـ في جانب الصدق: صفة الصدق من الصفات الأخلاقية التي تجلت في حياة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ طوال حياته، وقد عُرف في المجتمع المكي قبل

---

(١)مسلم، صحيح مسلم، حديث رقم (٧٣٠٤)، ج٨، ص١٤١.

(٢)القضاعي، محمد بن سلامة، مسند الشهاب، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، ط٢، ١٩٨٦م، حديث رقم (١١٦٠)، ج٢، ص١٨٩.

(٣)مسلم، صحيح مسلم، حديث رقم (٦٧٧٨)، ج٨، ص٢٤.

(٤)الترمذي، سنن الترمذي، حديث رقم (١٩٢٤)، ج٤، ص٣٢٣.

بعثته بهذا الخُلُق، ولذلك كان يُلقب بالصادق الأمين، فقد روى البخاري أنه لما نزلت {وأنذر عشيرتك الأقربين } صعد النبي . صلى الله عليه و سلم . على الصفا، فجعل ينادي: يا بني فهر، يا بني عدي، لبطون قريش، حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش، فقال: ((أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟)). قالوا: نعم ما جربنا عليك إلا صدقاً[1].

٤ . في جانب العفو: هذا الخلق لا يتصف به إلا العظماء، وسيدنا محمد . صلى الله عليه وسلم . هو قدوة العظماء، وما أعظم الإنسان حين يعفوا عند المقدرة، فعن عائشة . رضي الله عنها . قالت للنبي صلى الله عليه وسلم: هل أتى عليك يوم أشد من يوم أحد؟ قال: ((لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة؛ إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت، فإذا فيها جبريل، فناداني، فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال، فسلم عليَّ، ثم قال: يا محمد؛ فقال ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين؟ فقال النبي صلى الله عليه و سلم: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا))[2].

ولا أدل على خُلُق رسول الله . صلى الله عليه وسلم . في هذا الجانب مما صدر من عفوه عن قومه الذين أذاقوه وصحابته أشد العذاب، وأخرجوهم من بلادهم، فبعد أن عاد صلى الله عليه وسلم . إلى مكة فاتحاً قال لهم حين اجتمعوا في المسجد:

---

([1])البخاري، صحيح البخاري، حديث رقم (٤٤٩٢)، ج٤، ص١٧٨٧.

([2])البخاري، صحيح البخاري، حديث رقم (٣٠٥٩)، ج٣، ص١١٨٠.

((ما ترون أني صانع بكم؟ قالوا: خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم، قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء))[1].

٥ . في جانب أخلاقه العامة: الحديث في هذا الجانب كبير، وسنقتصر على نماذج يسيرة تبيِّن سيرته العطرة مع مختلف شرائح المجتمع؛ لنستلهم منها نور الأخلاق الكريمة؛ ومن ذلك أخلاق النبي . صلى الله عليه وسلم . مع أزواجه؛ فقد كان . صلى الله عليه وسلم . خير الناس لأهله، وقد قال صلى الله عليه وسلم: ((خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي))[2]. وترجم قوله عملاً واقعاً؛ حيث كان . صلى الله عليه وسلم . خير الناس لأهله، في معاشرته، وطيب كلامه، واحترامه، وتوده، ورأفته، ومزاحه، وكرمه، ووفائه لأزواجه.

وقد نال أطفال المجتمع حظاً وفيراً من خلق النبي صلى الله عليه وسلم، وفي هذا دلالة على أن النبي . صلى الله عليه وسلم . أولى هذه الفئة عناية خاصة؛ تربية لهم وتهذيباً لأخلاقهم؛ فكان النبي صلى الله عليه وسلم . إذا مر بصبيان يُسلم عليهم، ويُمازحهم.

أما مع الخادم كان يتعامل بكل رفق ورحمة، فعن أنس . رضي الله عنه . قال: «خدمت النبي –صلى الله عليه وسلم– عشر سنين، والله ما قال لي أُفّ قط، ولا قال لشيء: لم فعلت كذا، وهلا فعلت كذا؟»[3]. وعن عائشة . رضي الله تعالى عنها . قالت: "ما رأيت رسول الله . صلى الله عليه و سلم . ضرب خادما قط، ولا ضرب بيده

---

([1])البيهقي، أحمد بن الحسين، سنن البيهقي، مكتبة دار الباز . مكة المكرمة، ١٩٩٤م، حديث رقم (١٨٠٥٥)، ج٩، ص١١٨.

([2])الترمذي، سنن الترمذي، حديث رقم (٣٨٩٥) ج٥، ص٧٠٩.

([3])ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد، جامع الأصول في أحاديث الرسول، ت ح: عبدالقادر الأرناؤوط، مكتبة الحلواني – مطبعة الملاح – مكتبة دار البيان، ط١، ١٩٧٢م، حديث رقم (٨٨٣١)، ج١١، ص٢٥٥.

شيئًا قط، إلا أن يجاهد في سبيل الله، ولا نيل منه شيء قط فينتقمه من صاحبه إلا أن يكون لله"[1].

أخلاق النبي . صلى الله عليه وسلم . شملت ما حوله من مخلوقات هذا الكون؛ ولا أدل على ذلك من هديه . صلى الله عليه وسلم . بالرفق بالحيوان، فمن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: ((إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته))[2]، وعنه . صلى الله عليه وسلم . أنه قال: ((دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض))[3].

إن الحديث في هذا الجانب كبير، ويكفي ما سقناه من أمثلة للتدليل على سمو أخلاق النبي . صلى الله عليه وسلم . المثل الأعلى للإنسانية، إن الإنسانية اليوم بحاجة ماسة إلى تمثل هذه القيم الرفيعة في حياتها، في زمن ضاعت فيه القيم السامية، وأصبحت القيم المادية هي المطلب والغاية؛ حتى ولو كانت على حساب الأخلاق والمُثل.

---

(1). البيهقي، سنن البيهقي الكبرى، حديث رقم (٢٠٥٧٧)، ج١٠، ج١٩٢.

(2)ابن حبان، صحيح ابن حبان، حديث رقم (٥٨٨٣)، ج١٣، ص١٩٩.

(3) البخاري، صحيح البخاري، حديث رقم (٣١٤٠)، ج٣، ص١٢٠٥.

## الخاتمة

التربية الأخلاقية هي أساس تقدم الشعوب ورقيها؛ لأنها هي التي تعمل على تماسك المجتمع وصلاحه، وبفساد الأخلاق يُصبح المجتمع فوضى لا يستقر له قرار، والثقافة الإسلامية المتمثلة في المنهج الإسلامي إنما هي ترجمة للتربية المثالية التي ينبغي أن تسود المجتمعات؛ ذلك أن الهدف الذي بُعث به رسول الإسلام محمد . صلى الله عليه وسلم . إنما هو تتميم مكارم الأخلاق كما أخبر عليه الصلاة والسلام، وقد خرجت هذه الورقة بالنتائج الآتية:

- إن للتربية الأخلاقية أهمية بالغة في ارتقاء الأمم والشعوب؛ فمكارم الأخلاق ضرورة إنسانية لا يستغنى عنها مجتمع ولا أمة من الأمم، ومتى فقدت الأخلاق تفكك أفراد المجتمع وتصارعوا، وأدى ذلك إلى فوضى وصراعات، فصلاح أي مجتمع وفساده منوطان بما تكون عليه أخلاق أفراده ونفوسهم من صلاح وفساد.

- إن الهدف الأساسي للثقافة الإسلامية؛ تربية النفس على الأخلاق الفاضلة، ليقوم الإنسان بواجبه المنوط به في هذه الحياة، وهو خلافة الله في الأرض، والثقافة الإسلامية المنبثقة من تعاليم الإسلام تعتبر الأخلاق والتمسك بها ليس من سبيل الترف، التي يمكن الاستغناء عنها، بل هي أصول الحياة التي يرتضيها الدين ويحترم ذويها.

. هناك نماذج رائعة تربت في ظل الثقافة الإسلامية، وانطلقت بسمو أخلاقها في رحاب المعمورة، ولكن الأنموذج الأمثل للتربية الأخلاقية في الثقافة الإسلامية، والقدوة الكاملة تتمثل في شخص رسول الإسلام؛ سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فهو المثل الأعلى؛ فقد زكّاه ربه فقال تعالى: {وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ} [القلم ٤]، ووصفته السيدة عائشة . رضي الله عنها . بقولها: ((كان خلقه القرآن)).

## قائمة المراجع


- ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد، جامع الأصول في أحاديث الرسول، تح: عبدالقادر الأرناؤوط، مكتبة الحلواني – مطبعة الملاح – مكتبة دار البيان، ط١، ١٩٧٢م.
- أحمد بن حنبل، مسند أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة . القاهرة.
- أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تح: السيد أبو المعاطي النوري، عالم الكتب . بيروت، ط١، ١٩٩٨م.
- البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تح: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير واليمامة . بيروت، ط٣، ١٩٨٧م.
- البرهان فوري، علاء الدين علي بن حسام، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، مؤسسة الرسالة، ط٥، ١٩٨١م.
- البيهقي، أحمد بن الحسين، سنن البيهقي، مكتبة دار الباز . مكة المكرمة، ١٩٩٤م.
- البيهقي، أحمد بن الحسين، شعب الإيمان، تح: عبدالعي عبدالحميد، مكتبة الرشد . الرياض، ط١، ٢٠٠٣م.
- البيهقي، أحمد بن الحسين، سنن البيهقي، تح: محمد عبدالقادر عطا، مكتبة دار الباز . مكة المكرمة، ١٩٩٤م.
- الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي، تح: محمد أحمد شاكر، دار إحياء التراث العربي . بيروت.
- أبو داود، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، دار الكتاب العربي . بيروت.
- الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، دار الكتب العلمية . بيروت، ط١٩٩٧،١م.

- الربيع بن حبيب، الجامع الصحيح مسند الإمام الربيع، تح: محمد إدريس، وعاشور بن يوسف، دار الحكمة . بيروت، ومكتبة الاستقامة . مسقط، ١٤١٤هـ.
- الزكي، جمال محمد، إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق، المكتبة الشاملة.
- الجرجاني،الشريف علي بن محمد، كتاب التعريفات، دار الكتب العلمية . بيروت، ١٩٩٥م.
- الجمل، محمد جهاد، التربية الأخلاقية، الشبكة العالمية، الرابط: (www.hamdaneducation.com/arabic/EPeJdocs/11.htm)

ابن حبان، محمد بن حبان، صحيح ابن حبان، مؤسسة الرسالة.

- السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠٠م.
- الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير، دار الحديث . القاهرة، ط٣، ١٩٩٧م.
- الطحاوي، أبو جعفر أحمد بن محمد، شرح معاني الآثار، عالم الكتب، ط١، ١٩٩٤م.
- عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة، مؤسسة الرسالة . بيروت، ط٩، ٢٠٠٢م.
- عزمي طه السيد، وآخرون، الثقافة الإسلامية مفهومها ومصادرها، دار المناهج . عمان، ط٤، ٢٠٠٢م.
- عفيفي، محمد الصادق، الفكر الإسلامي مبادئه . مناهجه . قيمه . أخلاقياته، مكتبة الخانجي . القاهرة.
- العك، خالد عبد الرحمن، تربية الأبناء والبنات في ضوء الكتاب والسنة، دار المعرفة . بيروت، طبعة خاصة، ٢٠٠٨م.

- أبو العينين، علي خليل، القيم الإسلامية والتربية، مكتبة إبراهيم حلبي . المدينة المنورة، ١٩٨٨م
- الغزالي، محمد بن محمد أبو حامد، إحياء علوم الدين، دار المعرفة . بيروت.
- الغزالي، محمد، خلق المسلم، دار الدعوة ، ط٣، ١٩٩٠م.
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، دار ومكتبة الهلال.
- القضاعي، محمد بن سلامة، مسند الشهاب، مؤسسة الرسالة . بيروت، ط٢، ١٩٨٦م.
- قطب، سيد، في ظلال القرآن، دار الشروق . بيروت، ط١٥، ١٩٨٨م.
- الماوردي، علي بن محمد، نصيحة الملوك، مكتبة الفلاح . الكويت، ط١، ١٩٨٣م.
- محمد جمعة عبدالله، القرآن الكريم منهجه ووسائله في التربية الأخلاقية، المكتبة الأزهرية للتراث.
- مسلم، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، دار الجيل، ودار الآفاق الجديدة . بيروت.
- مطاوع، إبراهيم عصمت، أصول التربية، دار المعارف القاهرة، ط٧، ١٩٩٤م، ص٦٥ . ٧٠.
- ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي . بيروت، ط٢، ١٩٩٧م.
- الموسوعة الحرة، ويكيبيديا، التربية الأخلاقية، الشبكة العالمية.
- الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة، الأخلاق الإسلامية وأسسها، دار القلم . دمشق، ط٣، ١٩٩٢م.
- يالجن، مقداد، التربية الأخلاقية الإسلامية، دار عالم الكتب . الرياض، ط٢، ١٩٩٦م.